

حديث : رأيت إذا صليت المكتوبات

13:02:18 2006-02-14 | الشبكة الإسلامية



متن الحديث

عن **أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري** رضي الله عنهما ، أن رجلا سأل رسول الله عليه وسلم فقال : رأيت إذا صليت الصلوات المكتوبات ، وصمت رمضان ، وأحللت الحلال ، وحرمت الحرام ، ولم أزد على ذلك شيئا ، أدخل الجنة ؟ ، قال : **(نعم)** رواه **مسلم** .
ومعنى حرمت الحرام : اجتنبته ، ومعنى أحللت الحلال : فعلته معتقدا حله .

الشرح

لما أرسل الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، جعل الغاية من ابتعائه الرحمة بالخلق ، والإرشاد إلى أقصر الطرق الموصلة إلى رضى الرب ، وإذا رأينا قوله تعالى : **{ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين }** (الحج : 107) ، تداعى إلى أذهاننا الكثير من الصور التي تؤكد هذا المعنى ، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يذخر جهدا في إنقاذ البشرية من الضلال ، وتبصيرهم بالهدى والحق .

وتحقيق هذا الهدف يتطلب الإدراك التام لما عليه البشر من تنوع في القدرات والطاقات ، إذ من المعلوم أن الناس ليسوا على شاكلة واحدة في ذلك ، بل يتفاوتون تفاوتا كبيرا ، فلئن كان في الصحابة من أمثال **الصدِّيق** و **الفاروق** وغيرهم من قادات الأمة الذين جاوزت هماتهم قمم الجبال وأعالى السحاب ، فإن منهم - في المقابل - الأعرابي في البادية ، والمرأة الضعيفة ، وكبير السن ، وغيرهم ممن هم أدنى همّة وأقل طموحا من أولئك الصفوة .

ولذلك نرى - في الحديث الذي نتناوله - هذا الصحابي ، وقد أتى ليسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سؤال المشتاق إلى ما أعده الله تعالى لعباده المتقين في الجنة ، ومسترشدا عن أقصر الطرق التي تبلغه منازلها ، فقال : " رأيت إذا صليت الصلوات المكتوبات ، وصمت رمضان ، وأحللت الحلال ، وحرمت الحرام ، ولم أزد على ذلك شيئا ، أدخل الجنة ؟ " .

إن هذا السؤال قد ورد على السنة عدد من الصحابة رضوان الله عليهم بأشكال متعددة ، وعبارات متنوعة ، فقد ورد في صحيح **البخاري** و **مسلم** ، أن أعرابيا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(خمس صلوات في اليوم والليلة)** ، فقال : هل علي غيرها ؟ ، قال : **(لا ، إلا أن تطوع)** ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(وصيام رمضان)** ، قال : هل علي غيره ؟ ، قال : **(لا ، إلا أن تطوع)** ، وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة ، قال : هل علي غيرها ؟ ، قال : **(لا ، إلا أن تطوع)** ، قال : فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(أفلح إن صدق)** ، وعن **أبي أيوب الأنصاري** رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أخبرني بعمل يدخلني الجنة ؟ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : **(تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم)** رواه **البخاري** .

ومما لا ريب فيه أن السائل الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي نحن

بصدده - كان دقيقاً في اختياره للمنهج الذي رسمه لنفسه ؛ فإنه قد ذكر الصلوات المكتوبات ، وهي أعظم أمور الدين بعد الشهادتين ، بل إن تاركها بالكلية خارج عن ملة الإسلام ، كما جاء في الحديث الصحيح : **(العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر)** . وبعد الصلاة ذكر صوم رمضان ، وهو أحد أركان الإسلام العظام ، و مما أجمع عليه المسلمون ، وقد رتب الله عليه أجراً كبيراً ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : **(من صام رمضان إيماناً واحتساباً ، غفر له ما تقدم من ذنبه)** .

ثم أكد التزامه التام بالوقوف عند حدود الله وشرائعه ، متمثلاً بتحليل ما أحله الله في كتابه ، وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته ، واجتناب ما ورد في هذين المصدرين من المحرمات ، مكتفياً بما سبق ، غير مستزید من الفضائل والمستحبات الواردة .
ولسائل أن يسأل : لماذا لم يرد ذكر الحج والزكاة في الحديث ، على الرغم من كونهما من أركان الإسلام ، ولا يقلان أهمية عن غيرهما ؟ والحقيقة أن الجواب على ذلك يحتاج منا إلى أن نعرف الفرق بين الحج والزكاة وبين غيرهما من العبادات ، فإن فرضيتهما لا تتناول جميع المكلفين ، فالحج لا يجب إلا على المستطيع ، كما قال الله تعالى : **{ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً }** (آل عمران : 97) ، كذلك الزكاة لا تجب إلا على من ملك النصاب ، ونستطيع أن نقول أيضاً : إن هذا الحديث ربما ورد قبل أن تفرض الزكاة أو الحج ؛ فإن الحج قد فرض في السنة الثامنة ، والزكاة وإن كانت قد فرضت في مكة فإنها كانت عامة من غير تحديد النصاب ، ولم يأتي بيان النصاب إلا في المدينة ، ولعل هذا هو السر في عدم ذكرهما في الحديث .

وهنا تأتي البشرى من النبي صلى الله عليه وسلم ، ليبين أن الالتزام بهذا المنهج الواضح ، كاف لدخول الجنة ، وهذا يعكس ما عليه الإسلام من يسر وسماحة ، وبعد عن المشقة والعنت ، فهو يسر في عقيدته ، يسر في عباداته وتكاليفه ، واقع ضمن حدود وطاقت البشر ، وهذا مما اختص الله تعالى به هذه الأمة دون سائر الأمم .

لكن ثمة أمر ينبغي ألا نغفل ذكره ، وهو أن التزام العبد بالطاعات وفق ما أمر الله به ، واجتناب المحرمات وتركها ، يحتاج إلى عزيمة صادقة ، ومجاهدة حقيقية للنفس ، وليس اتكالا على سلامة القلب ، وصفاء النية ، وليس اعتمادا على سعة رحمة الله فحسب ، لأن الجنة ثمة ، وثمرتها هو العمل الصالح كما قال الله تعالى : **{ وتلك الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون }** (الزخرف : 72) ، فإذا صدقت نية العبد ، أورثته العمل ولا بد .

وعلى أية حال فإنه يجب على الدعاة إلى الله أن يفهموا طبيعة هذا الدين ؛ حتى يتمكنوا من تربية الناس على مبادئه ، نسأل الله تعالى أن يلهمنا الخير والصواب ، والحمد لله رب العالمين .